



ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: <https://eduj.uowasit.edu.iq>

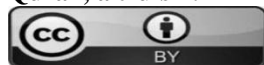
Ali Shamran Rahi

University of Religions
and Sects, Department of
Quranic Sciences

Dr. Said K. Baqri

Institute for Research
on Culture and Islamic
ThoughtDr. Mohammad Shirin
Kar MovahedUniversity of Religions
and Sects, Department of
Quranic Sciences

Email:

Sbaqeri86@yahoo.comMovahed1010@gmail.comAlzamilyali79@gmail.com**Keywords:**Solidarity, social
justice, the Holy
Quran, altruism.**Article info****Article history:**

Received 25.Nov.2024

Accepted 29.Dec.2024

Published 25.May.2025



The role of solidarity in achieving social justice from the perspective of the Qur'an and the hadiths

A B S T R A C T

Solidarity in Islam is an innate system that derives its existence from the laws of God that link human nature with the laws of the universe. A parent's sponsorship of his children is an innate matter that a person is driven to by an innate impulse. The same applies to sponsoring his family, or his mother and father. If we seek the truth, we find in a person a desire to sponsor a poor neighbor or a poor relative who is far away from his home, or to sponsor an orphan, so he takes care of him as he takes care of his own children. This solidarity also includes society, so that fraternal ties are strengthened among its members.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol59.Iss2.4180>

دور التكافل في تحقيق العدالة الاجتماعية من منظور القرآن والسنة النبوية الشريفة

المشرف: د. سيد كاظم سيد باقري
معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي

الباحث: علي شميران راهي
جامعة الأديان والمذاهب/ قسم علوم القرآن

م. المشرف: د. محمد شيرين كار موحد
جامعة الأديان والمذاهب/ كلية علوم القرآن

الملخص:

التكافل في الإسلام نظام فطري يستمد وجوده من سنن الله التي تربط بين فطرة الإنسان وسنن الكون فكفالة الوالد لأبنائه. أمر فطري يندفع إليه الإنسان اندفاعاً فطرياً. ومثل ذلك كفالته لأهل بيته، أو لأمه وأبيه، وإذا شئنا الحق وجدنا في الإنسان رغبة في كفالة الجار الفقير أو القريب الفقير على بعد داره، أو كفالة يتيم، فهو يراعه كما يراعي أولاده. ويشمل هذا التكافل أيضاً المجتمع فتقوى بين أبنائه الروابط الأخوية.

الكلمات المفتاحية: التكافل ، العدالة الاجتماعية ، القرآن الكريم ، الإيثار .

التمهيد:

من المأثور عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله : (أيما أهل عرصة أصبح فيهم أمرؤ جائعاً فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى) (صحيح البخاري ج ٢ ص ٤٣٢ ح ٤٥٤٣)، وإذا أردنا أن نتوسع في شرح الحديث الشريف يكون معناه : أيما شعب أصبح وفيه جائع منهم . فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والذمة هي الأمانة والعهد والضمان . ما يعني أن سبحانه وتعالى قد أكلهم الى أنفسهم وحجب عنهم رحمته ، ولم يقتصر التكامل الاجتماعي على المسلمين فقط وإنما يشمل غير المسلمين من أهل الكتاب ما داموا في دار الإسلام . إن المال لله تعالى ونحن مستخلفون في أرضه . قال الإمام علي (عليه السلام) : (ان الله فرض على الأغنياء في أموالهم بقدر ما يكفي فقراءهم ، فإن جاعوا ، أو عروا ، أو جهدوا فبمنع الأغنياء ، وحق على الله أن يحاسبهم عليه يوم القيامة ويعذبهم عليه) (الهندي، ١٩٨١: ٥٢٨) ، وهذا الأمر ليس متروكاً لاختيار الاغنياء ، إن شاءوا أعطوا ونجوا.. وإن شاءوا منعوا وعذبوا يوم القيامة . فالأصل أن يقوم ولي الأمر بجباية ذلك الحق ، والله سبحانه يقول : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) (التوبة : الآية ١٠٣) ، وولي الأمر لا بد له من أن يذكر الأغنياء بمسؤوليتهم أمام الله قبل أن يأمر أجهزته باستحصالتها من الأغنياء القادرين والكفالة التي أجملها الإمام علي (عليه السلام) تعني أنه فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقراءهم ويتكفلوا إعادتهم . والسلطان يدفعهم للعمل بنظام الفطرة المرتبط بالسنن الإلهية الكونية ، إن لم نقم أموال الزكاة بهم ولا سائر أموال المسلمين بهم ، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ومن اللباس للشتاء والصيف ، بمثل ذلك ، وبمسكن يقيهم من المطر و حر الصيف والشمس و من عيون المارة.

١-١ . مفهوم التكافل الاجتماعي :

الكافل هو القائم بأمر اليتيم المربي له ، سواء كان الكافل من ذوي رحمه أو أنسابه أو كان أجنبياً . والتكافل في اللغة تؤخذ من مادة كفل وتأتي على معان متعددة ومنها :

- أ. تأخذ معنى النصيب وكذلك الضعف والمثل، (ابن منظور: ج ١ ص ٦٦) قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يُؤْتِكُمْ كَفْلِينَ مِنْ رَحْمَتِهِ) (الحديد : الآية ٢٨) ، قيل أن معناها نصيبين وقيل ضعفين
- ب. وتأتي للحظ قال تعالى : (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا) (النساء : الآية ٨٥) .
- ج. تأتي لمعنى العائل قال ابن منظور في لسان العرب : (فالكافل العائل ، كفله يكفله وكفله إياه) (ابن منظور، ١٩٥٤: ٤٠٣) . وفي التنزيل العزيز قال تعالى : (وكفلها زكريا) (آل عمران : الآية ٣٧) .
- د. وقد تأتي بمعنى الضامن قال تعالى: (إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ) (آل عمران : الآية ٤٤) أي أيهم يعولها ويضمن معيشتها.

وعرف محمد ابو زهرة التكافل بالقول : (يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون أحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذو سلطان كفيلاً في مجتمعه يمدّه بالخير وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الأحاد ودفع الأضرار ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة) (أبو زهرة، ١٩٩١: ٧).

وعرفه باحث آخر: (تعاون أبناء المجتمع فرادى وجماعات على تحقيق الخير ودفع الجور) (الطيار، ١٤٠٦هـ: ٢٠)، أي أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم على اتخاذ مواقف إيجابية كراعية لليتيم أو سلبية كتحريم الاحتكار بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية ليعيش الفرد في كفالة الجماعة وتعيش الجماعة بموازرة الفرد حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفرادها.

والتكافل الاجتماعي تضامن أبناء المجتمع وتساندهم ، سواء كانوا أفراداً أو طوائف ، أو حكماً أو محكومين وذلك بدوافع إيمانية نبيلة ، تهدف إلى غايات كريمة ، تنتهي إلى تحقيق الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية لجميع أبناء المجتمع وذلك بتوفير الاحتياجات الأساسية من مأكلاً ومشرباً ودواءً وكساءً وتعليم ، بالإضافة إلى مقاومة كل من يحاولون خرق سفينة المجتمع كالمحترفين ، والمحتكرين والأكلين للأموال بالباطل بشتى الصور.(عويس، ٢٠١٠: ٤٦)

٢ - ١ - مبادئ التكافل الاجتماعي :

المبدأ الأول : الاخوة الإيمانية

حرص الاسلام الأصيل على بناء علاقات روحية اصيلة بين الناس أساسها الألفة والمحبة والتعاون وإصلاح النفوس والابتعاد عن التباغض والتناحر والتنافر ، وقد عمل على تطوير ذلك وتدعيمه . لذا كان من أول الاعمال التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبناء دولة أساسها العدل ومبدؤها المودة والتسامح هو المؤاخاة بين المهاجرين والانصار بعد ان كان بينهم الثأر وارقة الدماء (ذهبيات، ١٤٢٥: ٩)، كما وصفهم الله تعالى في محكم كتابه (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون). (آل عمران: ١٠٣)

فبعد المؤاخاة التي وثقها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بروابط المحبة والوئام والتكافل الاجتماعي الذي كان على رأس الأخوة فيتقاسمون امورهم ويتعاونون فيما بينهم على الرغم من ضيق عيشهم(ذهبيات، ١٤٢٥هـ: ٩) ، كما قال تعالى: (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم) (الحشر: ٩) ، فالمبادئ التي احدثها الإسلام تعد منطلقاً بانعطافات حادة في تفكير اغلب المسلمين وسلوكهم ، اذ كان الفرد العربي في الجاهلية متوقفاً منكفئاً على نفسه حتى صار انساناً اجتماعياً يشعر بالآخر ويمد العون لأخوته كما

أشار إليها القرآن الكريم : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتكم بنعمته إخواناً). (آل عمران: ١٠٣)

وأما السنة الشريفة كان لها أثر بالغ وعظيم في ترسيخ مبدأ التكافل الاجتماعي وتدعيمه من خلال مساعدة الاخوة بتسهيل أمورهم ، وقضاء حوائجهم وصون كرامتهم وعدم إراقة ماء وجوههم ، فنسج أهل البيت (عليهم السلام) - حالة التكافل الاجتماعي والتضامن الجماعي بإشاعتهم إليها بين صفوف المجتمع ، فكما ورد في الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من سعى في حاجة أخيه المؤمن ، فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة ، صائماً نهاره ، قائماً ليله) (الصدوق، ١٠٤١٠هـ : ١٩٠)، وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، كان كمن عبد الله دهره) (الطوسي، د.ت: ٤٨١) ، وقال أيضاً : (لا يكلف المؤمن أخاه الطلب إليه إذا علم حاجته) (الصدوق، ١٤٠٣ : ٦١٤) فخط الإمام على عليه السلام - طريقاً كما رسم له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقياس التفاضل الاجتماعي للمنفعة العامة بقوله (عليه السلام) : (خير اخوانك من اساك). (الواسطي، ١٣٧٦هـ : ٢٣٨).

المبدأ الثاني : المسؤولية العامة

سعى الإسلام لإنماء مبدأ الشعور بالمسؤولية، فالتكافل الاجتماعي إحساس جمعي يتفق عليه المسلمون جميعاً أو أبناء الأمة الواحدة، لذا عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، على تأصيل فكرة الشعور بالمسؤولية العامة بالمحاولات عملياً وتطبيقاً في جميع الاتجاهات السياسية والاقتصادية والتعليمية ولكي تكون المسؤولية عامة فلا بد من الإحاطة بها من جميع الجوانب عن طريق زرع الوعي الفكري الصحيح لأن الفكر الخاطئ يؤدي الى هلاك الأمم (ذهبيات، ١٤٢٥هـ : ٢٤) كما في قوله تعالى: (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَبْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران: ١٠٤)، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد على المسؤولية كما ورد عنه قال : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) (مسلم، ١٩٩١ : ١٢٨٩) ، لذا فإن آل البيت (عليهم السلام) غرسوا الوعي الصالح في المجتمع لكي يرتفع الشعور بالمسؤولية من خلال التكافل الاجتماعي في اتجاهات متعددة ومنها الاتجاه السياسي ليكون المسؤول بأي شكل جاء الى السلطة بمستوى يليق بالمسؤولية ؛ لأنه يتحكم برعيته من جهة الرعاية والاعالة والاهتمام ؛ لأنها شمولية تبدأ من رأس الهرم إلى القاعدة (ذهبيات، ١٤٢٥هـ : ٢٥).

أذن المسؤولية الجماعية هي تلك التي يقوم بها مختلف أفراد المجتمع دون استثناء كل في نطاق عمله وتخصصه وأماكن وجوده ، ومن المسؤوليات الجماعية ، حفظ السلم الاجتماعي ونشر الأمن والمحافظة على الدماء والأعراض والأموال ، فضلاً على ضرورة التألف والتأخي والتراحم ونبذ العصبية والفرقة والنعرات سواء كانت حزبية أو مذهبية أو مناطقية ، فبناء الاوطان مسؤولية تحتاج إلى التعاون والتوافق في الثوابت والأسس التي تحفظ الدين والأرض والإنسان ، وحدد الامام علي عليه السلام - مهام كل انسان تجاه نفسه وعياله والمجتمع بقوله : (أتقوا الله في عبادته وعبادته ، فأنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم) (ابي الحديد، د.ت: ٢٨٨)، وقوله أيضاً : (كل امرئ مسؤول عما ملكت يمينه وعياله). (الواسطي، ١٣٧٦هـ : ٣٩٦)

المبدأ الثالث : الإثارة :

يعد الإثارة من القيم الرفيعة التي تدفع الانسان الى الأفضلية في تقديم المصلحة العامة ، أو منفعة الآخرين على نفسه ، كما مدح الله تعالى صاحب هذه الصفة بقوله تعالى : (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة و من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر: ٩)، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (للأنصار) إن شئتم قسمت لهم من دوركم وأموالكم ، وقسمت لكم كما قسمت لهم ، وإما أن يكون لهم القسم ، ولكم دياركم وأموالكم ، فقالوا : لا ، بل تقسم لهم

من ديارنا وأموالنا ولا نشاركهم في القسم ، فأُنزل الله - عز وجل - هذه الآيات ثناء على (الأنصار) (المجلسي ، بحار الانوار ج ٥٦ ص ٤٣٢)، وقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) (البقرة: ٣)، وأشار الصالحون (عليهم السلام) إلى مواصفات البشر من خير أو شر ، فقال الامام الصادق (عليه السلام) : (خياركم سمحواؤكم وشراركم بخلاؤكم ، ومن خالص الإيمان البر بالإخوان ، والسعي في حوائجهم ، وإن البار بالإخوان ليحببه الرحمن ...). ثم قال لجميل بن دراج : يا جميل ، أخبر بهذا غرر أصحابك ، قلت : جعلت فداك من غرر أصحابي ؟ قال : هم البارون بالإخوان في العسر واليسر، ثم قال : يا جميل ، أما ان صاحب الكثير يهون عليه ذلك (الكليني، ١٤٠٧ : ١٤) ، فالقيمة الأساس للإنسان هي الإثارة ، لإسهامه في تفعيل مبدأ التكافل بعدما كان الانسان في الجاهلية أنانياً يقدم منفعته قبل كل شيء ، فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك ، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما جاءه رجل شكاه اليه الجوع ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى بيوت ازواجه فقلن ما عندنا الا الماء ، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : من لهذا الرجل الليلة ؟ فقال الامام علي (عليه السلام) أنا له يا رسول الله واتي فاطمة عليها السلام ، فقال لها ما عندك يا ابنة رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا الا قوت العشية لكننا نؤثر ضيفنا ، فقال عليه السلام : يا ابنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم نومي الصبية وأطفئي المصباح ، فلما أصبح علي (عليه السلام) غدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله تعالى : (ويؤثرون على أنفسهم) (الحشر: ٩) وفي رواية أخرى أن الامام علي (عليه السلام) اشترى ثوباً فأعجبه فتصدق به (ابن شهر آشوب، د.ت: ٣٦٦).

المبدأ الرابع : التراحم

أكد الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز على التراحم فيما بين الخلق كما في قوله تعالى : (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا) (المائدة: ٣٢)، أي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو أو منع عن القتل ، أو استنقاذ من بعض أسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعاً ، والمقصود منه تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ترهيباً عن التعرض لها وترغيباً في المحاماة عليها فالحفاظ على أرواح الناس أساس للتراحم ، لأنه قيمة تسهم بشكل مباشر في توجه الناس نحو التكافل بعيداً عن الحسابات والمكاسب المادية لأنها تتوجه بخط مستقيم مواز مع مبدأ الاخوة التي تهدف إلى تحقيق اعلى درجة من المشاركة والتعاون بينهم (البيضاوي، ١٤٠٨ : ١٢٤) ، وبهذا الصدد أشار الامام علي (عليه السلام) بقوله : من لم يرحم الناس منعه الله رحمته (الواسطي، ١٣٧٦ : ٤٢٨) ، وقول الامام الصادق (عليه السلام) : (إني لأرحم ثلاثة وحق لهم أن يرحموا : عزيز أصابته مذلة بعد العز ، وغني أصابته حاجة بعد الغنى ، وعالم يستخف به أهله والجهلة) (الصدوق، ١٤١٠ هـ : ٣٩٤)، فمفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام مفهوم واسع لا يقتصر على الجانب المادي فحسب بل هنالك التكافل الأدبي الذي يشعر الانسان لحب أخيه الانسان ، وكذلك التكافل العلمي والذي يشعر بخدمة طلبية العلم ، أي أن ضرورة التكافل المعنوي تكون مع العزيز الذي أمت به الذلة ، وإن التراحم والتكافل بين أبناء المسلمين فيها بينهم يساهم في رفع البلاء العام عن الأمة المتراحمة والمتكافلة ، ويخفف عنها الآثار والجوائح والكوارث التي تعصف بها ، وكل هذا يكون بقدر ما تلتزم بتعاليم الشرع الحنيف ، والسنة النبوية الشريفة ، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ...) ولهذا الحديث دلالة على فضل التكافل بين المسلمين ومساعدة بعضهم بعضاً والسعي في قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك. (النووي، ١٣٩٢ هـ : ٢١)

المبدأ الخامس : الكرامة الانسانية

التكافل الاجتماعي مبني على مبدأ الكرامة الإنسانية ، فالإسلام ينظر الى الإنسان باعتباره خليفة الله في الارض ، وذلك من خلال تميزه وتكريمه عن باقي مخلوقاته ، قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا). (الاسراء: ٧٠)

ان التشريع الاسلامي يسمو على كل النظم الوضعية و الانسانية من خلال إثباته لمبدأ الكرامة الإنسانية ، التي تشمل الناس جميعا بقطع عن أجناسهم وأديانهم ، هذه الكرامة هي التي ضمنت حقوق الإنسان في الحياة والعقيدة و الحرية والعلم ، فهي للناس جميعا ومن واجب الدولة أن تكفلها لهم على قدم المساواة بلا استثناء(السباعي، ١٩٩٩: ٩٩). وتترتب على هذه الكرامة الإنسانية في الاسلام هي أن العلاقة بين البشر علاقة مودة ورحمة ، فهي أساس العلاقات الإنسانية كلها ، فالمودة هي القانون الإنساني الشامل لكل العلاقات الإنسانية من حيث إنها تربط كل من في الأرض من بني البشر ، سواء أكانت هذه العلاقات على مستوى المجتمع الاسرة أو على مستوى الجوار أم على مستوى المجتمع الصغير أو الكبير أو المجتمع الإنساني العام.(عبدالعال، د.ت: ٣٦)

ولأجل الكرامة الانسانية ينتقل التكافل فيصل جميع ألوان الطيف الإنساني ، إذ قال عز ثناؤه : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُعَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُحَرِّجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتحنة: ٨). ومن صور البر والقسط في معاملة غير المسلمين هو السعي في إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإعانة فقيرهم وحفظ مصالحهم المادية و المعنوية .

المبدأ السادس : التعاون الجماعي :

يعد التعاون على البر والتقوى وعلى أعمال الخير من أبرز مطالب تحقيق التكافل الاجتماعي التي تسعى إليه المجتمعات، وذلك ليتساندوا فيما بينهم على تعزيز المواقف الايجابية والفاعلة تجاه حل مشكلات المجتمع وحاجاته كالقضاء على الفقر والمحافظة على الممتلكات العامة ، ولا سيما التعاون والتعاقد والتراحم في وقت الأزمات .

فالإنسان لا يمكن له أن يستقل بحياته منفرداً ، فعلى الرغم من وجود النزعة الفردية لدى الإنسان التي تدفعه الى تحقيق ذاته ، ولكن توجد في فطرته منزع آخر ، وهو الجانب الاجتماعي الذي يدفعه الى التآلف والتعاون والتكامل البشري مع الآخرين ، وعلى هذا جاء الإسلام ليؤكد هذه الحقيقة العظيمة ، وهو أن البشر يكمل بعضهم بعضاً ويستفيد بعضهم من بعض ، وهذا أصل ما جاءت به النصوص الشرعية التي تحث على التعاون على البر والتقوى وترك التعاون على الإثم والعدوان ، قال تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة: ٢). وفي هذه الآية تأكيد وأمر لجميع الخلق بأن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى، وأن يعين بعضهم بعضاً(القرطبي، ٢٠٠٣: ٤٦). وفيه أن الله عز وجل ندب الى التعاون بين الناس على البر وقرنه بالتقوى له ، وذلك لأن في التقوى رضا الله جل جلاله، وفي البر رضا الناس، وعليه من جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته.(الماوردي، ١٩٨٦: ١٨٢-١٨٣)

إن من السمات الانسانية التي تنشدها البشرية هو التعاون وهو يمثل أقوى الأسس التي تبتني عليها حياة اجتماعية سليمة في كل جزئياتها وصحيحة بمناهجها ، وقد يكون البعد الأول للتعاون هو تحقيق المنفعة الذاتية وهو أمر لا غبار عليه فالإنسان أول ما يفكر بالمنفعة يفكر بنفسه وهذا الأمر فطرة إنسانية ، قال تعالى : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا) (نوح: ٢٨). فأبتدأ بنفسه ثم سرى الدعاء لغيره والصورة الثانية للتعاون هو عندما تتجسد المنفعة الجماعة المتعاونة فيما بين افراد الجماعة الواحدة، وتزداد تلك عندما يكون الغرض منه هو مساعدة الآخرين والعودة بالمنفعة على مجموعة من الأفراد ، عندها يسمى بـ (التكافل الاجتماعي) ، لأنه يمثل صورة من صور كفالة الفرد للآخر ضمن دائرة مجتمعية واحدة ، ويقصد به التزام مجموعة من الأفراد وتعاونهم في سبيل تقديم المساعدة للأشخاص المضطرين والمحتاجين والذين لا يستطيعون تأمين هذه المستلزمات لوحدهم ، لسبب ما خارج عن إرادتهم.

أولاً: آثار التكافل الاجتماعي على الفرد

إن الإنسان كائن مدني بطبعه لا يستطيع ان يحيى فرداً ولا تستقيم له الحياه الا في جماعة متعاونة متكافلة تحافظ على كرامة هذا الإنسان أياً كان دينه أو انتمائه فالتكافل الاجتماعي يوفر حماية ورعاية للفرد في ذلك المجتمع ويكون مظلة طمأنينته تشمل بالتالي المجتمع كله قال تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَنُقِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (المتحنة: ٨).

فعندما يكون أفراد المجتمع يشتركون في المحافظة على المصالح العامة ودفع الاضرار المادية والمعنوية فإنهم ينطلقون من بعد روعي وصفاء نفسي لا ينشد سوى القرب من الله تعالى، وقد اهتم الإسلام في بناء مجتمع متكامل بحيث يشعر كل فرد فيه انه الى جانب الحقوق التي له ان عليه واجبات للآخرين . عن رسول الله : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). (الكليني ، الكافي : ١ ص ٤٧٨)

كما كفلت الشرعية في مصادرها العامة ، النص على المنع عن مجموعة من النشاطات الاقتصادية والاجتماعية ، المعيقة في نظر الإسلام عن تحقيق المثل والقيم التي يتبناها الإسلام ، كالربا والاحتكار وغير ذلك.(الصدر، ١٩٨٧: ٢٨٨)

والتكافل يولد شعور عند الفرد بأنه غير منفصل عن المجتمع وليس بمعزل عنهم لتوثيق العلاقات وتقوية أواصر المحبة والترابط بينهم وذلك لوقوفهم إلى جانبه في السراء والضراء ويعتبر نوع من أنواع التربية على الرحمة والشفقة والحنان والاخوة في الله التي هي من اقوى عرى الايمان.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأصحابه أي عرى الإيمان أوثق ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم ، وقال بعضهم : الصلاة ، وقال بعضهم : الزكاة.... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لكل ما قلتم فضل وليس به ، ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وتولي أولياء الله والتبري من أعداء الله). (البرقي، د.ت: ٢٦٤)

وعن أبي جعفر (عليه السلام) انه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان ، ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله). (الكليني، ١٤٠٧هـ: ١٢٥)

حيث الأخوة ليس مجرد تبادل كلمات الود فقط او شعارات ومجاملات وإنما هي توجد بين شخصين او أكثر تصل في وقت الشدة والحاجة بمد يد العون للمحتاج منهم و يستقطع قسم من ثروته لسد حاجة أخيه.

ثانياً: آثار التكافل الاجتماعي على المجتمع

استطاع الإسلام من خلال القيم التي دعا إليها أن يحقق تكافلاً مزدوجاً بين الفرد من جهة والجماعة من جهة أخرى ، فجعل لكل منهما بعض الالتزامات التي تقع على عاتق أحدهما تجاه الآخر ، فمأزج بين المصالح الفردية والعامّة بحيث يكون أحدهما مكملًا للآخر ، حيث أن تحقق أي مصلحة من المصالح العامّة يتحقق به المصلحة للفرد أيضاً ضمناً ، فالمجتمع مسؤول عن حفظ النظام العام ، وعن التصرف الذي يمكن أن يسيء إلى المجتمع أو يعطل بعض مصالحه. قال الله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (التوبة: ٧١) فبهذا المنهج التكافلي تتحقق اللحمة بين أفراد المجتمع الواحد .

جاء الإسلام بمنهجه لينظم الجانب الروحي من خلال مجموعة من العبادات والممارسات التي ترقى به إلى مصاف الملائكة والتمثيل والخلافة وتسخير كل الكون له ، في المقابل جاء الإسلام لينمي الجانب المادي في حياة الإنسان وينظمه ضمن دائرة من الحقوق والواجبات والاسس النظرية والعملية التي تسعى بالإنسان إلى حالة من الاستقرار وتسعى به لتحقيق كل ما يصبوا إليه ضمن إطار المجموعة وليس بعيداً عنها ، فقد ابدت الروايات التحذير في الكثير من النصوص الى كل مقصر في حق إخوانه، والغرض من هذا التحذير هو المحافظة على البناء الاجتماعي من أي تصدع والحفاظ على النسيج الاجتماعي للحد من أي تحول يخل بقواعد العيش المشترك ، يقول الإمام الصادق عليه السلام : (من صار إلى أخيه المؤمن في حاجته فحجبه، لم يزل في لعنة الله إلى أن حضرته الوفاة) (المفيد، ١٤١٣هـ: ٣١). كذلك الحال فإن من يحجب المعونة عن أخيه سوف يساهم في تعطيل حركة التعاون والتكافل التي من حقها النمو والبلوغ ليصبح المجتمع قويا مترصا والفرد فيه يعيش الكرامة وعدم الفاقة يقول الإمام الباقر عليه السلام : (من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته ، ابتلي بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر) (الكليني، ١٤٠٧هـ: ٣٦٦).

لذا ان التكافل الاجتماعي في نظر الإسلام هو منظومة معارف تحاول بناء كيان المجتمع ضمن خط بياني يمثل الصواب في كل مفردة وحيثية من حيثيات حياة المجتمع لذا فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ووضعه لها حكماً خاصاً ولم يترك ثغرة في البناء الاجتماعي الا عالجهما. ويرى السيد الشهيد الصدر "ان خطوات الإسلام التي خطاها في سبيل إيجاد المجتمع الإنساني الأفضل، عبر تجربته التاريخية المشعة، كانت واضحة وصريحة في اهتمامه بهذا الركن الرئيسي من اقتصاده" (الصدر، ١٩٨٧: ٢٨٩). وفي تفسيره للآية القرآنية (وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ) (الحشر: ٧) ، يعتبر الإمام الشهيد الصدر: (أن الفيء ملك المنصب الذي يشغله النبي والإمام ومصرفه الذي يجب عليه صرفه عليه هو ما يدخل ضمن العناوين التي ذكرتها الآية). (الصدر، ١٩٨٧: ٦٦٦)

والفيء في الأصل هو ما يغنمه المسلمون من الكفار بدون قتال و في هذا التوجه القرآني تأكيد واضح على توزيع الثروة على الجماعة ، فهي ليست محتكرة الجماعة دون أخرى ، وإنما يشترك فيها الفقير واليتيم والمسكين وابن السبيل وبقية الناس.

فيدع للفرد حريته كاملة في الحدود التي لا تؤذيه ، ولا تأخذ على الجماعة الطريق ، ويجعل للجماعة حقوقها ، ويكفلها من التبعات في الوقت ذاته كفاء هذه الحقوق ، لتسير الحياة في طريقها السوي القويم ، وتصل إلى أهدافها العليا التي يخدمها الفرد وتخدمها الجماعة سواء.(قطب، ١٩٩٥: ٦٢)

نتائج البحث:

١. القرآن الكريم أكد على التكافل الاجتماعي وبين أهمية في القرآن والسنة النبوية
 ٢. التكافل الاجتماعي في الإسلام يمثل نظام أخلاقي قائم على مبدأ الأخوة والمحبة والإيثار حث والتعاون وحفظ كرامة الإنسان المادية و المعنوية ، يحقق مصالح الجميع بما يرضي الله سبحانه و تعالى .
 ٣. ان طرح نماذج مختلفة للتكافل الاجتماعي بحيث تتمكن الدولة ان تساهم والأغنياء في مساعدة الفقراء والمهمشين من خلال بناء مؤسسات تدعم التكافل الاجتماعي و المشاركة المجتمعية ومنظمات المجتمع المدني .
- وهكذا يفرض الإسلام التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله ، تمشياً مع نظريته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة ، وفي تناسق الحياة وتكاملها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

نهج البلاغة

الكتب:

١. ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية.
٢. ابن شهر اشوب ، (ت ٥٨٨ هـ) مناقب ال إبي طالب ، تحقيق : يوسف البقاعي ، الناشر: دار الأضواء .
٣. ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري ، لسان العرب ، اعتنى بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، القاهرة: دار إحياء التراث العربي (١٩٥٤) .
٤. البرقي، الشيخ أحمد بن محمد بن خالد ، المحاسن، عُني بنشره وتصحيحه السيد جلال الدين الحسيني، نشر دار الكتب الإسلامية، قم .
٥. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد (ت ٦٨٥ هـ) ، أنوار التنزيل واسرار التأويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
٦. الحويزي، عبد علي، تفسير نور الثقلين، تحقيق علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي .
٧. د . عبد الحليم عويس ، الوحي والعقل والعدل في ميزان الاسلام ، دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٠ م.
٨. الري شهري ، السيد محمدي ، ميزان الحكمة ، مركز الإعلام الإسلامي ، ط ١ ، دفتر تبليغات إسلامي ، قم .
٩. الزجاج ، إبراهيم بن السري بن سهيل ، أبو إسحاق (ت ٣١١ هـ) معاني القرآن وأعرابه ، تحقيق عبد الجليل شبلي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م .
١٠. السباعي، مصطفى بن حسني، من روائع حضارتنا ، دار الوراق للنشر ، بيروت ، المكتب الإسلامي، ط ١ ، ١٩٩٩ م.
١١. سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، ط ١ ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.
١٢. الصدر ، محمد باقر ، اقتصادنا ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط ٢٠. ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م .
١٣. الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي ، من لا يحضره الفقيه ، تحقيق : حسن الموسوي الخرسان ، دار الكتب الإسلامية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٠ هـ .
١٤. الصدوق، محمد بن علي ، الخصال ، جماعة المدرسين، قم ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ.
١٥. الطوسي ، محمد بن حسن (١٤١٤ هـ) ، الأمالي، التصحيح والتنظيم قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة، دار الثقافة ، قم .
١٦. الطيار ، عبد الله محمد ، التكافل الاجتماعي في الفقه الاسلامي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٦ هـ.
١٧. عباس ذهبيات ، التكامل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، مركز الرسالة ، مطبعة ستاره - قم ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ
١٨. عبد العال ، أحمد عبد العال ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، الشركة العربية للنشر والتوزيع
١٩. القرطبي ، محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) تفسير القرطبي ، تحقيق هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، الرياض الطبعة الاولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
٢٠. الكليني ، محمد بن يعقوب ، الكافي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٧ هـ .
٢١. الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ) أدب الدنيا والدين ، دار مكتبة الحياة ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .
٢٢. المجلسي ، محمد تقي ، روضة المتقين ، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، الطبعة الاولى ، قم ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٢٣. محمد أبو زهرة ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
٢٤. مسلم بن حجاج ، صحيح الإمام مسلم . (١٩٩١) . إعداد عبد الباقي . القاهرة: دار الحديث.
٢٥. المفيد، محمد بن النعمان ، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات، المؤتمر العالمي، للشيخ المفيد، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.
٢٦. النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف ، (ت ٦٧٦ هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ .
٢٧. الواسطي ، علي بن محمد الليثي ، عيون الحكم والمواعظ ، دار الحديث ، إيران ، ط ١ ، ١٣٧٦ هـ .